سورة الحجرات

[من أدب الحديث مع الرسول ﷺ]

۞ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١-١٠]. [٤٤]

[شرح٤٤] في هذه السورة العظيمة فوائد وأحكام جليلة، المسلمون في أشد الحاجة إلى تفهمها وتعقُّلها والاستفادة منها، ففي أولها: التحذير من التقدم على الله ورسوله، وأن الواجب على أهل الإيمان أن يكونوا متّبعين لا مبتدعين ولا متقدمين على الله ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، قال أهل العلم في ذلك: لا تقولوا حتى يأمر الله ورسوله، ولا تفعلوا حتى يفعل الرسول عليه الصلاة والسلام ويشرع؛ فلا تتقدموا عليه بقول ولا بفعل، وكونوا متّبعين لما يرسمه لكم وما يوضحه لكم من التشريع، وهكذا يكون أهل الإيمان لا يخترعون من عند أنفسهم عباداتٍ وأحكاماً لا أساس لها في شريعة الله. =

.....

= ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سميع لأقوالكم عليم بأحوالكم ـ جل وعلا ـ لا تخفى عليه خافية، يسمع أقوال العباد ويعلم أحوالهم؛ فيعلم ما قالوا بالحق وغيره، ويعلم ما فعلوا وقالوا بالحق وغيره، فالمعنى: راقبوه ـ سبحانه ـ واحذروه؛ فإنه لا تخفى عليه خافية، ويسمع ويعلم بأحوالكم؛ فيجب عليكم أن تكونوا متبعين لا مبتدعين في شريعة الله عز وجل.

ثم يبين سبحانه وتعالى أن الواجب عليهم التأدب معه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وألا يرفعوا أصواتهم فوق صوته، ولا يجهروا كجهر بعضهم لبعض؛ بل يتأدبون معه ويكونون خافضي الصوت، يخاطبونه مخاطبة الإجلال والاحترام والتعظيم، لا مخاطبة النِّد بالند أو فوق ذلك، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ لئلا تحبط أعمالكم ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾، فرفعُ الصوت والجهر له بالقول كجهر بعضنا لبعض، قد يترتب عليه ما لا تُحمَد عقباه من حبوط العمل، والإنسان لا =

.....

= يشعر بذلك، وذلك يدل على وجوب التأدب معه عليه الصلاة والسلام على حضوره ووجوده ومكالمته ومخاطبته، ويؤخذ من ذلك: التأدب مع السُّنة بعد وفاته ﷺ ـ وفي حياته أيضاً ـ ويكون الإنسان تابعاً لها لا متقدماً عليها، ولا يجوز له أن يُحكِّم آراءَه ويُحكِّم اجتهاداتِه المخالفة لشرع الله اعتقاداً منه أن ذلك أولى وأحق مما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام؛ فيحبَطَ عملُه، ويَضل عن الدين، ويخرج عن دائرة الإسلام بأسباب ما أحدثه من الردة، نسأل الله السلامة.

ثم يبين سوءَ أدب من نادى الرسول من وراء الحُجرات، وكان ذلك من بعض جُفاة الأعراب، كانوا ينادونه: يا محمد، يا محمد، فبيّن الله لهم أن هذا خلاف الذي ينبغي منهم؛ بل ينبغي الصبر حتى يخرج إليهم ﷺ؛ ولهذا قال: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾.

بيَّن جل وعلا أن الواجب على الرعية وعلى الأمة التأدب معه عليه الصلاة والسلام وأن يصبروا، وألا يُخرجوه عليه الصلاة =

.....

= والسلام؛ بل ينبغي الصبر حتى يخرج إليهم؛ لأن خروجه معروف وعاداتهم معروفة في هذا، فعلى ذوي الحاجة الصبر من غير سوء أدب؛ بل يصبر ويحتسب ويبقى، أو يذهب ويرجع حتى يأخذ حاجته، أما أن يؤذيه بكلام فلا يجوز، والنبي ﷺ في حجرته، وقد يكون مشغولاً، وقد يكون مستريحاً، إلى غير ذلك، فلا يليق من المؤمن مثل هذا الفعل، ولهذا وصف أكثرهم بأنهم لا يعقلون؛ لأن الغالب على جفاة الأعراب وعلى سكان البادية عدم التبصر بهذه الأمور وعدم النظر لها؛ بل من عادتهم التكلف وإلقاء الأمور على غير حكمة ونظر بسبب قلة العلم وقلة البصيرة.

ثم يبين جل وعلا أن الواجب عدم أخذ أقوال الناس دون النظر ودون التثبت، ولاسيما إذا جاء خبر من طريق الفُسّاق؛ فإن الفاسق لا يُؤْمَن، فإذا كان فاسقاً فِسقاً أصغر لا يُؤمَن أنه سَلِم من أن يُفتن بفسق أكبر، والمقصود أن من عُرف بفسقٍ فالواجب التثبت من خبره، والمجهولُ كذلك؛ لأنه قد يكون فاسقاً وأنت لا تشعر، ومن هذا أَخَذَ أئمة الحديث الجرحَ بالجهل، وأن المجهول =

.....

= من الرواة مجروح لا تقوم به الحجة؛ لأنه قد يكون فاسقاً، فهذا لا يصدَّق خبرُه حتى تثبت عدالته، فقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ يعني: فتثبتوا، فالتثبت: النظر في الأمر والعناية حتى يظهر ما يدل على صدقه أو كذبه، ولا يقال: يُردُّ خبره؛ لأن الفاسق قد يصدق وقد يكون خبره صحيحاً، فلا تعجلوا في قبوله ولا في رده؛ بل تثبتوا حتى توجد دلائل تدل على صدق هذا الخبر أو على كذبه؛ فإن قامت الدلائل على صدقه أُخِذ به، وإن قامت الدلائل على كذبه رُدَّ على قائله.

وكذلك خبر الكافر، فإن وُجدت دلائل تدل على صدقه أُخِذ بخبره بالدلائل على صدقه، لا أنها من رواية الكافر والفاسق والمجهول.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ فلو أن الشريعة جاءت بأهواء الناس لأصابهم العَنَتُ والمشقة والبلاء ما لا يحصيه إلا الله عز وجل، ولكنه ـ سبحانه ـ هو أحكم وأعلم، فهو يَشرَعُ لنبيه ﷺ ما هو خير للمسلمين وما =

.....

= هو خير للعباد والمصلحة وإن خالف بعض أهوائهم، وكما قال الله عز وجل: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، فالحق ليس بأهواء الناس؛ فقد يوافق الحقُّ هوى زيدٍ ولكنه يخالف هوى عمرو، واللهُ أعلم بما هو فيه صلاح العباد، وأعلم سبحانه وتعالى بما فيه نجاتهم؛ فلهذا جاءت الشريعة بأشياء قد تخالف هوى بعض الناس، فلا عبرة بأهواء الناس؛ وإنما العبرة بما شرعه الله ورسوله، والرسول مبلِّغ عن الله عز وجل وهو المعلِّم، ولو أن الرسول ﷺ تابَعَ أهواءهم لعَنَتوا ووقعوا في الحرج والمشقة؛ لأنهم قد يقولون أشياء تضرهم ولا تنفعهم، ولكنهم لا يعقلوها؛ بل سارعوا إليها لأول وهلة، بسبب اتِّباع أهواءهم، فلو أن الشرع وافقهم في ذلك وجاء بأهوائهم لحرجوا ووقعوا في مضار كثيرة ومهالك لم يعقلوها ولم يفهموها أولاً.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ وهذا من فضله سبحانه وتعالى على الصحابة وعلى كل من تابع الصحابة =

.....

= ودخل في دين الله؛ فالله تفضل عليه بأن حبب إليه الإيمان وزيَّنه في قلبه، وكَرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، فهذا من فضله وجوده وكرمه سبحانه وتعالى، فعلى من رُزق ذلك أن يحمَد الله ويشكره ويستقيم على الأمر ويحافظ عليه، ويسأل ربه الثبات عليه، وقد حكم الله على هؤلاء أنهم الراشدون، قال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ فمن رُزق هذا الأمر، بأن حبَّب الله إليه الإيمان وزيَّنه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، فهو الراشد، بالمعنى الكامل ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ حصرياً، كأنه قال: هم الراشدون لا غيرُهم، والمقصود: أن هذا يدل على أن فضل الله على العبد بأن يحبب إليه الإيمان ويزينه في قلبه ويكرِّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، فهذا من النعم العظيمة؛ ولهذا قال: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾.

فجدير بالعبد الموفَّق لهذا الخير أن يشكر الله كثيراً، وأن يحمده كثيراً بقلبه، وأن يلزم هذا الشيء ويحافظ عليه ويسأل ربه الثبات عليه حتى يلقاه سبحانه وتعالى. =

.....

= ثم يبين الله سبحانه وتعالى أنه عليم حكيم، وأن ما يرزقه لعباده ويمنُّ بها عليهم عن علمٍ وعن حكمة، لا عن مصادفة أو عن جهل؛ فهو ـ سبحانه ـ العليم الحكيم بما يشرعه لعباده، وبهدايته لبعض الناس وإضلاله لآخرين، ومن توفيقه لبعض الناس العلمَ وعدم توفيقه للآخر، إلى غير ذلك، فهو الحفيظ العليم بأقواله وأفعاله وشرعه وقدره سبحانه وتعالى.

ثم يبين جل وعلا ما قد يقع من بعض الطوائف من القتال والفتنة والانقسام والمشاقة، ويبيِّن الواجب على المؤمنين أن مثل هذه الفتنة ـ متى وقعت ـ فالواجب عليهم أن يكونوا في صف مَن بُغي عليه لا في صف الباغي، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ وهذا يبين لنا أن من الواجب الإصلاح أولاً بين المتقاتلَين والمتنازعَين؛ فإن لم يتيسر الصلح وأبت إحدى الطائفتين وبَغَتْ، وجب أن تقاتَل الفئة =

.....

= الباغية، وأن يكون المؤمنون الآخرون في صف الذي بُغِيَ عليه؛ حتى تزول هذه الفتنة، وحتى يُقضى عليها.

ثم يُبيِّن سبحانه أنهم مؤمنون مع هذا الإنقسام ومع هذا التقاتل، وفي هذا حجةٌ ظاهرةٌ لأهل السنة والجماعة؛ لأن المعصية لا يكفُر بها المؤمن ولو كانت قتلاً، وهو معه أصل الإيمان، وإن كانت المعصية تضعف الإيمان وتُلحقه بالفُسَّاق إن لم يكن له تأويل؛ لكنا لا نخرجه من دائرة الإسلام، وقد خاطبهم الله أنهم مؤمنون، فقال: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ فدَّل ذلك على أن الإيمان موجود، والأُخُوَّة موجودة مع هذا القتال؛ لأن القتال متأوَّل، ولأنه قتال لا يخرج صاحبه عن دائرة الإسلام إذا لم يستحلَّه ـ فهذا تأويل ـ كما عُلم بذلك أن الإنسان قد يَقتل وقد يُقتل وهو في دائرة الإسلام وفي دائرة الإيمان، لا يخرج عنهما؛ لأن ذلك قتل الذي وقع منه ومقدماته لم يحصل الاستحلال فيما حرم الله، وعاقلتُه مبرّأة من أمر الله؛ ولكنه عن تأويل وعن نظر فيما دعاه إلى ذلك؛ فقد يخطئ وقد يصيب؛ فهما موصوفان بالإيمان والإسلام مع ما وقع منهما من =

.....

= الفتنة والقتال، ومع وجوب قتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله ومع الأخوة أخوة الإيمان؛ فالمعاصي تُضعف الإيمان وتُنقصُه إذا كانت عن غير تأويل، وصاحبُها على خطر إن لم يغفِرِ له الله سبحانه وتعالى.

ثم إن القتال ونحوه إذا وقع عن جهادٍ وعن قصدٍ للحق وعن تأويل؛ فصاحبه بين أمرين: إما يكون مُصيباً فله أجران، وإما أن يكون مخطئاً فله أجر؛ كما وقع بين أهل الشام وأهل العراق، وما أشبه ذلك بين عليٍّ وأصحابه وبين معاويةَ وأصحابه، فكلاهما مجتهد، وكلاهما طالب للحق؛ لكن أحدهما أقرب إلى الحق من الآخر وأصوب؛ فيكون له أجران والآخر له أجر واحد من أجل اجتهاده، وخطؤه مغفور، إن شاء الله.

وهكذا ما يقع من المؤمنين من هذا الجنس بالتأويل والاجتهاد؛ فإن صاحبهما بين أمرين: إما مجتهد مصيب فله أجران؛ وإما مجتهد مخطئ فله أجر واحد، وفي هذا رَدٌّ على المعتزلة والقدَرية النُّفاة، وعلى الخوارج أيضاً القائلين بأن المعصية يكفر بها المؤمن أو =

.....

= يخرج بها من دائرة الإسلام، ويقولون بالمنزلة بين المنزلتين. كل هذا من أبطل الباطل عند أهل السنة والجماعة؛ بل صاحبها لا يخرج من دائرة الإسلام ما دام يؤمن بالله واليوم الآخر، وما دام لم يستحلَّ ما حرمه الله عز وجل، وإنما تأول بذلك أو فعل ذلك عن هوى ورغبةٍ في حظه العاجل، مع علمه بأنه ما حرم ذلك الشيء، وهذا الحُكم جاءت به النصوص من الكتاب والسنة، وكما ترى في الأخبار عن رسول الله عليه الصلاة والسلام من أن الله يُخرج من النار مَن كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، سواء كان زَنى أو قتَل أو سَرَق أو غير ذلك، فهذه المعاصي تُضعف إيمانه وتُنقصه، وتعرِّضه لغضب الله وعذابه؛ ولكن لا تُخرجه من الإسلام ما دام لم يستحلَّها وغلب عليه الهوى والشيطان. نسأل الله العافية والسلامة.

سورة الحشر

[التقوى وموجباتها]

❁ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]. [٣٩]

[شرح٣٩] هذه الآية الكريمة كآيات كثيرات غيرها، يأمر الله بها عباده المؤمنين أن يتقوه، وقد جاء هذا المعنى في عدة مواضع من كتاب الله عز وجل،وذلك يدل على أن المؤمن يُؤمَر بالتقوى كما يُؤمَر بها غيره.

وقد جاء في آيات أخرى توجيه الأمر إلى جنس الناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. =

.....

= فالعبادة والتقوى مأمور بها جميع الثقلين: الجن والإنس، فكلاهما مأمور بتقوى الله وعبادته، ولهذا خُلقوا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فوجب على كل ذي عقل من الجن والإنس أن يُعنى بهذا الأمر الذي خُلق من أجله، وأن يلتزم بما أُمر به، وبما فُرض عليه من تقوى الله سبحانه وعبادته وحده دون كلِّ ما سواه.

وتقوى الله: هي توحيده والإخلاص له ومراقبته بتعظيم أوامره وترك نواهيه، والوقوفِ عند حدوده في جميع الزمان والمكان، وهي أيضاً العبادة التي أُمِرنا بها في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، فإن عبادة الله: هي توحيدُه، والإخلاصُ له، والخضوع له، والذلُّ لعظمته في جميع الشؤون وفي جميع الأحوال، ولا يكون هذا إلا بفعل الأوامر وترك النواهي، أما الذي لا يمتثل أمرَ الله ونهيه، فإنه لم يعبده ولم يتقه.

فأما أمرُ الناس بالتقوى والعبادة، فهو ظاهر؛ لأنهم خلقوا لذلك، وفيه سعادتهم ونجاتهم، فوجب عليهم أن يتقوا الله وأن =

.....

= يعبدوه ويعظِّموه.

وسُمِّي الدين تقوى لأنه يقي من التزمه عذابَ الله وغضبَه، فلهذا قيل للإسلام والإيمان والهدى: تقوى؛ لأن من التزم بالإسلام واستقام عليه وقاه الله عذاب الدنيا والآخرة، وأحسنَ له العاقبة.

وسُمي إسلاماً لما يتضمنه من الذل لله والانقياد له، بفعل المأمور وترك المحذور، يقال: أسلم فلانٌ لفلان إذا انقاد له، فالإسلام: هو الانقياد، فسمي الإسلامُ دينُ الله إسلاماً؛ لأن أهله يلزمهم أن يستسلموا لله، وأن ينقادوا لعظمته، وأن يعظِّموه ويُجلُّوه ويلتزموا أمره ونهيه.

وسُمي إيماناً لأن التزام العبد بما أمر اللهُ به ورسولُه، وتصديقَه لله ورسولِه هو الإيمان، فالإيمان مصدر آمن يؤمن إيماناً، مَن صَدَّقَ، فصاحب الدين والمنتسب للإسلام قد صدَّق الله ورسوله، فالتزم بدين الله، وعظَّم أمر الله ونهيه، وصدَّق أخبارَه، فهو مؤمن، ويسمى دينُه إيماناً.

ويُسمى ديننا أيضاً هدى؛ لأن صاحبه مهدي، ولأنه يهدي =

.....

= من التزمه إلى طريق الخير والرشاد.

وسُمي إحساناً لما فيه من الإحسان إلى نفسك، وإلى عباد الله، فأنت بعبادة الله وحده والإخلاص له وعبادته كأنك تراه، قد أحسنت إلى نفسك، وقد أحسنت إلى عباد الله بفعل المأمور وترك المحذور، وبإلزامهم بالحق، وبأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، إلى غير ذلك.

فلهذا يقول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، ووجْهُ أمرِهم بالتقوى وهم متقون: أن الإيمان ذو شُعَبٍ قولية وفعلية، ظاهرةٍ وباطنةٍ، فهم مأمورون بأن يلتزموها ويعظِّموها ويستمروا عليها. هذا معنى قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، أي: الزموا تقواه وسيروا عليها، وهكذا قوله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، فالنبي رأس المتقين ـ عليه الصلاة والسلام ـ فمعنى أمرِهِ بالتقوى: هو الأمرُ بالتزامها والسيرِ والصبر والثبات عليها، وهكذا المؤمنون، يُؤمَرون بالثبات على التقوى، ولزومها والسير عليها، والنظر في جميع الشُّعب والفروع التي تتفرع عنها حتى =

.....

= يلتزموها ويأخذوا بها.

فأنت مأمور بلزوم التقوى، ثم مأمور أيضاً بتفقد حالك ومحاسبة نفسك حتى لا تدع شيئاً من التقوى، ولا تفرطَ في شيء منها، وهكذا يأمرك بالإيمان لتلتزمه وتستقيم عليه، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦] فالمعنى: التزموا الإيمان واستقيموا واثبتوا عليه وسيروا عليه.

﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي: انظروا ماذا قدمتم للآخرة، فلتنظر كل نفس ماذا قدمت لآخرتها، فقد يترتب على الغفلة تضييعُ بعض الأوامر، أو ركوبُ بعض النواهي، فإذا حاسب الإنسان نفسه ونظر وتأمل فقد يعرفُ ما فرَّط فيه، وقد يعلم ما ركبه من محارم، فيبادر بالتوبة والإصلاح.

فالنظر فيه فوائد: ففيه حسابٌ للنفس، وفيه تتبع لأعمالها وأقوالها، وفيه نظر فيما ضيعت من أمرِ الله أو تساهلت فيه أو ارتكبته من محارم الله، فواجب على كل مكلف أن ينظر وأن يتأمل =

.....

= ويحاسب نفسه، وألا يجازف في الأمور، وألا يغفل، فقد يكون على سيئة وهو غافل، وقد يكون مضيعاً لواجب وهو غافل، فوجب عليك أن تنظر فيما أنت عليه، وأن تحاسب نفسك، وأن تنظر ماذا قدمت لآخرتك.

وسُميت الآخرة غداً، تقريباً لها؛ لأنها هي التي تلي هذا اليوم، فالدنيا بمثابة يوم، وبعد هذا اليوم غدٌ، وهو يوم القيامة، فالدنيا كلها كيوم واحد، من أولها إلى آخرها، فهي أمرٌ زائل منتهٍ له حد، وما بعده هو الآخرة، فجدير بالنفس الزكية، وبمن تعزُّ عليه نفسُه، وبمن يهمه خلاصها ونجاتها أن يعد العدة، وأن ينظر للآخرة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فإذا اتقى ربَّه وحاسب نفسه عرف ما له وما عليه، كالذي يحاسب نفسه من جهة البضاعة، أو يحاسب شركاءَه، فيعرف النتيجة، وهذا أعظم وأهمُّ، فمحاسبة النفس فيما يتعلق بأمر الله وأمر الآخرة، من أهم الأمور وأعظمِها؛ لأنك مخلوق لتعبد ربَّك وتتقيه، ومخلوق لتحاسب هذه النفس عن أخطائها وتجاهدها بما يجب عليها. =

.....

= ونتيجةُ المحاسبة أن المؤمن يعرف بعدها ما له وما عليه، فإن ظهر له أنه مستقيم وأن سَيرَهُ على الهدى ثابت، حَمِدَ اللهَ، وسأله الثبات، وعرف قدر هذه النعمة، وشكر اللهَ عليها، واستمر في الخوف والوَجَل حتى لا تزول أو يزول بعضها. وإن ظهر له بعد الحساب تفريطٌ وأخطاء كثيرة وأغلاط وعيوب، ـ وهذا هو الأغلب والأكثر ـ فعند ذلك يبادرُ بالتوبة وإصلاح ما وقع منه من أخطاء، وما زلَّت فيه قدمه، وما أضاع من أمر الله، وليجاهد نفسه لله، وليتبْ إلى الله مما فرَّط فيه، ويجدد له حالاً مع الله في ترك نواهيه والتزام أوامره والوقوف عند حدوده.

[النهي عن التشبه بأعداء الله]

۞ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]. [٤٠]

[شرح٤٠] ينهانا سبحانه عن التشبه بأعداء الله الذين نَسُوا الله، يعني: أضاعوا أمره، وتركوه، وعاملوه معاملةَ من نسي، وقد لا ينسَون، لكنهم لا يبالون، فقد غلبت عليهم الأهواء، وشُغلوا بالشهوات، وغَفَلوا عن حق الله، فصاروا على خطر عظيم، وعلى شفا جُرُفٍ هارٍ.

فينبغي لك يا عبد الله أن تحذر مشابهة أعداء الله الذين أضاعوا أمره، ونسوا حقه، وارتكبوا نهيه، ولم يقفوا عند حدوده، فتهلك كما هلكوا، ولهذا قال جل وعلا: ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ يعني: أنهم لما نسوا الله بإضاعة الأوامر وترك النواهي أنساهم الله أنفسهم، إذ أنساهم أسبابَ النجاة والسعادة، وهل هناك شيء أعظمُ من أن تنسى نفسك، وتنسى نجاتها وأسباب سعادتها؟! =

.....

= وهل عند الإنسان شيء أغلى من نفسِه ليسعى لنجاتها وخلاصها؟!

فإذا ضيَّع أمر الله ولم يبالِ، ونسي حقه فإنه هالك، ومن عقوباته أن ينسيه الله نفسه، فينسى أسباب سعادتها، وينسى أسباب نجاتها، وينسى أسباب رُقيِّها ورضا الله عنها، ويقع في ضد ذلك من أسباب هلاكها وغضبِ الله عليها وسوء مصيرها، نسأل الله العافية.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ فمَنْ نَسِيَ ربه وأنساه الله نفسه فهو الخاسر، وهو الفاسق، والفاسق: هو الخارج عن طاعة الله، والفسقُ: هو الخروج عن الشيء، ومن قول العرب: فسَقَتِ الرُّطَبة، أي: خرجت منها النواة، وسُميت الفُويسقة ـ المعروفة ـ؛ لأذاها وخروجها عن طبيعة أمثالها من الحيوانات الأخرى التي لا تؤذي.

[حال المتقي]

۞ قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]. [٤١]

[شرح٤١] ثم يبين حال من اتقى الله، وهم أهلُ الجنة، وحالَ من أضاع التقوى، وهم أهلُ النار، وأنهما لا يستويان، فلا يستوي هؤلاء وهؤلاء.

فهل يَحسُنُ بالعاقل ويليق به أن يرضى أن يكون مع الهالكين، وأن يكون مع أصحاب النار؟! لا ينبغي له ذلك، ولا ينبغي له أن يسيرَ في رِكاب الهالكين، فالواجب عليه أن يأخذ بأسباب النجاة، وأن يكون حازماً في الأمور كلها، لعلَّه يكون مع الناجين.

ولهذا قال سبحانه: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ أصحاب الجنة ـ الذين أعدُّوا العدة، وسارعوا إلى مرضاة الله، وانتهوا عن محارمه ـ هم الناجون، وهم السعداء، وهم الفائزون بالعاقبة الحميدة والفضل الكبير والنجاة يوم القيامة.

[عظم القرآن الكريم]

۞ قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]. [٤٢]

[شرح٤٢] ثم يبين سبحانه أن هذا القرآن العظيم جدير بأن يتعقَّله المؤمن، ويُقبل عليه، ويعالجَ به أمراض قلبه ومجتمعه، وألا يغفل عنه، فهو صراط الله المستقيم وهو حبل الله المتين، وهو الهادي للتي هي أقوم، وهو الشفاء لما في الصدور.

لو أُنْزِلَ القرآنُ على جبل أصم مكلَّف به، وأُمر بما فيه لخشع هذا الجبل خشوعاً عظيماً، وهو جبل حجر، ولربما تصدع وتفتت من خشية الله عز وجل، كما في الآية الأخرى في الحجارة: ﴿لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، فهي لها إحساس إذا كُلِّفت بشيء، إحساس يليق بها ويناسبها، وربها سبحانه وتعالى هو الذي يعلم بها. =

.....

= فلو كُلِّف الجبل بما في القرآن لرأيتَه خاشعاً متصدعاً من خشية الله، وأنت يا عبد الله، الذي أعطاك اللهُ عقلاً وروحاً وتمييزاً، قد أعرضتَ عن هذا الكتاب، ولم تخشع، ولم تخف ما فرطت فيه من تضييع أمر هذا الكتاب. فالمعنى أن هذا الجبل لو كُلف بهذا القرآن لكانت له حال غير حالك، وهذا بالنسبة إلى أغلب الخلق، وإلا فالخُلاصة من عباد الله لهم شأن مع كتاب الله، وامتثال عظيم وعناية وحذر وإقبال، ولكن أغلب الخلق ليسوا كذلك.

والمقصود من هذا: تنبيهك أنك جدير بأن تُعنى بكتاب الله، وأنت الذي أعطيت عقلاً، ولست كالجماد، إذ يهمك أن تعنى به، وأن تستقيم عليه، وأن تعالج به قلبَك حتى يطهر من أمراضه، وأن تعالج أمراض المجتمع حتى يستقيم على طاعة الله ورسوله.

ثم يبين صفاتِه العظيمة وأسماءَه الحسنى، وأنه جلَّ وعلا هو الإله الحق الذي لا إله غيره، وأنه مسمى بهذه الأسماء العظيمة:

[أسماء وصفات الله الحسنى]

❁ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣]. [٤٣]

[شرح٤٣] فيبين سبحانه وتعالى هذه الأسماء العظيمة المشتملة على معانٍ جليلة، لتنتبه يا عبد الله لهذه الأسماء، وتتعقَّلها، وتعرف منها صفات ربك وأسماءه الحسنى، وأنه جل وعلا المستحق الذي يُعبَد ويعظَّم.

ويختم آية إنزال القرآن على جبل بأن الآيات إنما تُفَصَّلُ وتُوجَّهُ لمن يتفكر ومن يتعقل، والأمثال ليست لغير العقلاء، وإنما توجه وتُضرب لأهل التفكر والتعقل والنظر، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: =

.....

= ٤٣]، فأنت يا عبد الله مأمور بالتعقل والتفكر والنظر؛ حتى تستفيد من أمثال الله ومن قصصه وأخباره، ومما يلفت إليه أنظار العقلاء من عباده؛ لتكون منهم. نسأل الله التوفيق.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس الموضوعات

سورة البقرة

التذكير بنعم الله على بني إسرائيل ـ الآيات: ٤٠-٤٤ ..... ٧
بيان ما وقع لبني إسرائيل من العقوبات ـ الآيات: ٥٨-٥٩ ..... ١٢
تحويل القبلة ـ الآيات: ١٤٢-١٤٧ ..... ٢٠
فضل الصابرين والمقاتلين في سبيل الله ـ الآيات: ١٥٣-١٦٤ ..... ٢٧
التوجيه إلى مكارم الأخلاق ـ الآيات: ١٦٥-١٧٧ ..... ٣٧
خلق الأهلَّة حكم وأسرار ـ الآيات: ١٨٩-١٩٩ ..... ٤٩
حكم القتال في الشهر الحرام ـ الآيات: ٢١٧-٢١٨ ..... ٦٥
أحكام الحيض ـ الآيات: ٢٢٢-٢٢٧ ..... ٧٤
كيف تحيا الأمم ـ الآية: ٢٤٣ ..... ٨٣
الحث على الإنفاق ـ الآيات: ٢٥٤-٢٥٧ ..... ٨٧
عاقبة المرائي ـ الآيات: ٢٦١-٢٦٤ ..... ١٠٦
بعض أحكام الإنفاق ـ الآيات: ٢٦٧-٢٧١ ..... ١١١
خطورة الربا ـ الآيات: ٢٧٥-٢٨١ ..... ١١٨
أحكام المداينة ـ الآيات: ٢٨٢-٢٨٣ ..... ١٢٩
إحاطة علم الله وتمام ملكه وقدرته ـ الآيات: ٢٨٤-٢٨٥ ..... ١٤٠

obeikandl.com

سورة آل عمران

إثبات التوحيد لله، وإنزال الكتب على رسله ـ الآيات: ١-٧ ..... ١٥٣
إن الدين عند الله الإسلام ـ الآيات: ١٩-٢٥ ..... ١٦٥
التحذير من موالاة الكافرين ـ الآيات: ٢٨-٣٣ ..... ١٧٤
عظمة قدرة الله تعالى في قصة زكريا ويحيى عليهما السلام ـ
الآيات: ٣٨-٤١ ..... ١٨٧
قصة عيسى عليه السلام ـ الآيات: ٥٢-٥٥ ..... ١٩٨
من مواقف أهل الكتاب ـ الآيات: ٦٤-٧٤ ..... ٢١٢
الميثاق المأخوذ على الأنبياء ـ الآيات: ٨١-٨٦ ..... ٢١٧
نداء لأهل الإيمان ـ الآيات: ١٠٠-١٠٧ ..... ٢٢٨
فضل الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم ـ الآيات: ١١٠-١١٤ ... ٢٣٧
التحذير الشديد من اتخاذ الكفرة بطانة للمؤمنين ـ
الآيات: ١١٨-١٢٠ ..... ٢٤٦
غزوتا بدر وأحد ـ الآيات: ١٢١-١٢٥ ..... ٢٥٥
النهي عن أكل الربا والحث على الإنفاق ـ الآيات: ١٣٠-١٣٦ ..... ٢٦٨

سورة النساء

آيات المواريث ـ الآيات: ١١-١٤ ..... ٢٨٢

obeikandi.com

أسباب صلاح المجتمعات ـ الآيات: ٥٨-٧٠ ..... ٢٨٩
السياسة الحربية في الإسلام ـ الآيات: ٧١-٨٠ ..... ٣٠١
التحذير من الغلو في الدين ـ الآيات: ١٧١-١٧٦ ..... ٣٠٩

سورة المائدة

الوفاء بالعهود ـ الآيات: ١-٥ ..... ٣١٨
الوضوء والغسل والتيمم ـ الآية: ٦ ..... ٣٢٤

سورة الأنفال

توجيهات حربية للمؤمنين ـ الآيات: ١٥-٢٦ ..... ٣٣٣

سورة التوبة

إعلان الحرب على المشركين ـ الآيات: ١-٥ ..... ٣٤١
سلوك رجال الدين من أهل الكتاب والتحذير منه ـ الآيات: ٣٤-٤٠ ... ٣٥١

سورة الكهف

مثل الحياة الدنيا ـ الآيات: ٣٢-٥٩ ..... ٣٦٦

سورة مريم

قصة إبراهيم مع أبيه ـ الآيات: ٤١-٦٥ ..... ٣٧٦

obeikandi.com

سورة الحجرات

من أدب الحديث مع الرسول ﷺ ـ الآيات: ١-١٠ ..... ٣٩٠

سورة الحشر

التقوى وموجباتها ـ الآية: ١٨ ..... ٤٠٢
النهي عن التشبه بأعداء الله ـ الآية: ١٩ ..... ٤٠٩
حال المتقي ـ الآية: ٢٠ ..... ٤١١
عظم القرآن ـ ٢١ ..... ٤١٢
أسماء وصفات الله الحسنى ـ الآيتان ٢٢-٢٣ ..... ٤١٤

obeikandl.com